مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية | ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153 | المجلد 06/ العـدد: 01 (2020)، ص 11- 30

مو اقف سكان الغرب الجز ائري من الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران 1830-1832

Attitudes of the inhabitants of the West of Algeria to the French occupation of oran 1830-1832

د. عبد القادر سلاماني[1*]، د. العيد فارس[2]

[1]جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)، abdelkaderslamani@gmail.com

[2]جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)، laid.fares@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/11/23 تاريخ القبول: 2020/03/24 تاريخ النشر: 2020/06/30

الملخص:

أوجد نظام الحكم العثماني في بايلك الغرب الجزائري قبيل الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران، أوضاع متمايزة في شتى المجالات، ففي الميدان السياسي كانت السلطة العثمانية تعاني من ضعف شديد نتيجة عدة أسباب، منها تراجع قوتها العسكرية، وهو ما دفعها إلى تقوية تحالفها مع قبائل المخزن، فأضحت هذه القبائل مع نهاية العهد العثماني تمارس صلاحيات سلطوية واسعة ببايلك الغرب الجزائري. وهو ما أحدث شرخا كبيرا في التركيبة الاجتماعية لسكان المنطقة، فإعطاء امتيازات لقبائل المخزن على حساب باقي التشكيلات الاجتماعية كقبائل الرعية والمرابطين وغيرهم، قد أوجد حالة من الاحتقان المجتمعي. أما من الناحية الاقتصادية، فقد كان بايلك الغرب الجزائري يعاني من تعطل الحركة الاقتصادية، بفعل السياسية المنتهجة من قبل الأتراك في المنطقة، والتي ركزت على جباية الضرائب دون الاهتمام بإحداث تنمية اقتصادية حقيقة، إن هذا الوضع المتردي الذي كانت تعيشه المنطقة سيحدد إلى حد كبير مواقف سكانها من بداية الوجود الاستعماري الفرنسي بالغرب الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الغرب الجزائري- وهران- الحكم العثماني – بايلك الغرب –قبائل المخزن – الاحتلال الفرنسي – موقف السكان.

*المؤلف المرسل

Abstract:

The Ottoman regime in Baylik, the West of Algeria, prior to the French occupation of oran, created distinct situations in various fields. At the end of the Ottoman era, these tribes exercised broad authoritarian powers in the west of Algeria. This has caused a major rift in the social composition of the inhabitants of the region, and the granting of privileges to the Makhzen tribes at the expense of other social formations, such as the parish tribes, almoravids and others, has created a state of social tension. Economically, the Algerian West was suffering from the disruption of economic activity, due to the political policies pursued by the Turks in the region, which focused on tax collection without interest in real economic development, that this deteriorating situation in the region will determine to the extent The great positions of its inhabitants from the beginning of the French colonial presence in the West of Algeria.

key words: Algerian West - Oran - Ottoman rule - Bayelik West - Makhzen tribes - French occupation - Population position.

مقدمة:

عجل الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر من انتشار الفوضى والاضطرابات في كافة القطر الجزائري، ففي بايلك الغرب الجزائري كانت السلطة العثمانية مهلهلة وضعيفة، وكانت السلطة الفعلية بها لقبائل المخزن التي راحت تمارس صلاحيات واسعة، جعلتها تمارس بالفعل النظام الإقطاعي في المنطقة، بينما كان باقي سكان المنطقة يتطلعون إلى التخلص من سطوة تلك القبائل، أما الكراغلة الذين كانوا مستقرين داخل بعض مدن بايلك الغرب الجزائري، فقد كانت تهمهم مصالحهم الخاصة على حساب المصلحة العامة. في حين كان بعض أعيان المنطقة وعلى رأسهم الشيخ محي الدين يترقبون الوضع بحذر، ويتطلعون لاتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهة المحتل الفرنسي. وعليه فقد أحدث احتلال مدينة وهران من قبل قوات الاحتلال الفرنسي أزمة حقيقية في المنطقة، وستظهر لنا اختلافات مواقف سكانها طبيعة هذه الأزمة وتداعياتها على المقاومة.

1- الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران:

يعتبر احتلال مدينة الجزائر من قبل قوات الاحتلال الفرنسي على إثر توقيع الداي حسين(سعد الله،1992،ص.88) (أنظر التعليق رقم 1)، معاهدة الاستسلام مع قائد الحملة الفرنسية على الجزائر المارشال دي بورمونDe Bourmont (henry.D,130,P10) (أنظر التعليق رقم 2)، في 05 جويلية 1830 بداية التوسع نحو بقية المدن الجزائرية الساحلية (Gabriel Esquer,1929, P312) ، ونظرا للموقع الاستراتيجي لمدينة وهران عملت قوات الاحتلال الفرنسي على احتلالها في أقرب فرصة ممكنة، فموقعها القريب من مضيق جبل طارق يسمح لقوات الاحتلال الفرنسي بمراقبة تحركات غريمة فرنسا إنجلترا في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، بالإضافة إلى ذلك فإن احتلال وهران سيعطي لقوات الاحتلال الفرنسي مركز انطلاق لاحتلال باقي مناطق الغرب الجزائري (Paul Gaffarel, 1883, P100).

كانت السلطة في بايلك الغرب الجزائري بمدينة وهران تحت حكم الباي حسن (Lapéne.M, 1842,P26) (أنظر التعليق رقم 3)، حين احتلت قوات الاحتلال الفرنسي مدينة الجزائر، وقد كان هذا الباي شيخ مسن في الثمانين من عمره، لا قدرة له على مواجهة قوة بحجم الجيش الفرنسي، فمجموع القوات التي كانت تحت إمرته تقدر بحوالي 800 مقاتل فقط، والذي وجد صعوبة كبيرة في تغذيتهم ودفع أجورهم (Pellissier.R, 1854, P.108)، كما أن علاقته مع قبائل المنطقة لم تكن حسنة، وفي هذه الظروف الصعبة التي كانت تعيشها السلطات العثمانية بمدينة وهران قام الماريشال دي بورمون ببعث ابنه القائد أميديAmedié إلى وهران على رأس سفينتين بحريتين، فوصل هذا القائد إلى المرسى الكبير في 13 أوت 1830م، وفورا ربط هذا القائد أميدي اتصالات مع الباي حسن، الذي لم يبد أي مقاومة ضد قوات الاحتلال الفرنسي، بل اقترح على القائد الفرنسي بأن يترك في منصبه مقابل دفع نفس الضرائب التي كان يدفعها للداي سابقا (Lapéne.M, 1842,P30) ، إلا أن عزل الجنرال دي بورمون من الجزائر في أواخر شهر أوت 1830م، من قبل الحكومة

الفرنسية جعل تلك المفاوضات تتوقف، وعلى اثر ذلك تم سحب القوات التي بعثت إلى ميناء المرسى الكبير (سعد الله،1992،ص.32).

وبعد تولي الجنرال كلوزيل Clauzel (أنظر التعليق رقم4) مسؤولية قيادة القوات الفرنسية في الجزائر خلفا للمارشال دي بورمون في 03 سبتمبر 1830م، قام ببعث قوات جديدة إلى وهران كانت هذه المرة تحت قيادة الجنرال دامريمون Damrémont (henry.D,130,P51) (أنظر التعليق رقم5) في 11 ديسمبر 1830م (Paul Gaffarel, 1883, P100)، فتمكن هذا الجنرال دامريمون من احتلال المرسى الكبير وحصن سانت ڤريڤوري في 14 ديسمبر، دون مقاومة تذكر من قبل السلطات العثمانية، ومع نهاية هذا الشهر كانت معظم الحصون المحيطة بوهران تحت سيطرة الجنرال دامريمون، الذي بدأ بعد ذلك ينتظر الفرصة الملائمة لاحتلال مدينة وهران، وفي يوم 14 جانفي 1831م استغل الجنرال دامريمون فرصة مغادرة قبائل المخزن لأسوار وهران نحو تلمسان (المازاري، 1990، ص. 89) ليحتل المدينة دون مقاومة(Lapéne.M, 1842,P30) ، بعد أن أبدى الباي حسن خضوعه للقائد الفرنسي الذي تولى أمر نقله إلى مدينة الجزائر، ومنها رحل إلى الإسكندرية، فكان ذلك بمثابة انهيار للسلطة العثمانية في الغرب الجزائري، وكان من نتائج هذا الاحتلال أن هاجر معظم سكان مدينة وهران نحو تلمسان وضواحيها، ولم يبق في المدينة من المسلمين سوى 250 نسمة، وأصبحت الأكثرية بها يومئذ من اليهود، الذين استقبلوا قوات الاحتلال الفرنسي بفرح عارم طمعا في مكاسب جديدة(عبد الرحمان محمد الجيلالي، 1994، ص.18).

2- موقف قبائل المخزن :

كانت قبائل مخزن بايلك الغرب المشكلة من مجموع قبائل الزمالة والدوايرر، تستمد مكانتها الاجتماعية خلال عهد البايات، وارتباطها الوثيق بالسلطات العثمانية، حيث ساهمت بدور فعال في بقاء الحكم العثماني بالمنطقة (ناصر الدين سعيدوني، 1984، ص.98)، من خلال ممارستها للسلطة، وهو ما أكسبها عداوة القبائل التي كانت تعاني وضعية اجتماعية

متدنية خلال الفترة العثمانية، وبانهيار سلطة العثمانيين في مدينة الجزائر باستسلام الداي حسين، أصبح موقف قبائل مخزن وهران في غاية التعقيد (Esterhazy. W, 1849, P.32.).

خلال الفترة التي احتلت فيها قوات الاحتلال الفرنسي مدينة الجزائر، كانت قبائل مخزن وهران تتألف من قسمين، فهناك الدوایر الذين كانوا تحت زعامة مصطفى بن إسماعيل (أديب حرب، 1983، ص.56) ، وهناك الزمالة الذين كانوا تحت زعامة المازاري، والذي قام بالانتقال مع أتباعه إلى ضواحي تلمسان، عقب الاحتلال الفرنسي لوهران في أوت 1830م. أما مصطفى بن إسماعيل فلقد بقي مع أتباعه بمضاربهم قرب وهران، وأبدى تضامنه مع الباي حسن وأعلن مساندته له إذا ما حاول محاربة قوات الاحتلال الفرنسي، ولكن هذا الأخير لم يبد أي موقف عدائي ضد قوات الاحتلال الفرنسي، الذين احتلوا وهران في 14 جانفي 1830م(Lapéne.M, 1842,P30). فاضطر على إثر ذلك، مصطفى بن إسماعيل اللحاق بابن أخيه المازاري بضواحي تلمسان، التي كانت فيها الاضطرابات تتصاعد بين الكوروغليين ومولاي علي ممثل السلطان المغربي بتلمسان، فحاول مصطفى بن إسماعيل مع مجموعة من الأعيان فتح مفاوضات بين الطرفين، إلا أن مولاي علي قام بحبس هؤلاء الأعيان وبعثهم كأسرى إلى السلطان المغربي (Cour.A, 1908, P. 37) ، الذي أطلق سراحهم بعد أن أطلعوه على التجاوزات التي كان يقوم بها مولاي علي بتلمسان، وخلال تواجد مصطفى بن إسماعيل عند سلطان المغرب، اتفق معه على أن يساعد ممثله الجديد في الغرب الجزائري الشريف بالحمري في توطيد سلطته بالمنطقة، وبعد عودة مصطفى بن إسماعيل من المغرب جمع أتباعه وانطلق بهم إلى معسكر وساعد بها الشريف بالحمري في توطيد سلطته بها(Esterhazy. W, 1849, P.32.).

لقد جعلت سياسة بالحمري بالمنطقة معظم السكان ينفرون منه، فحتى قبائل المخزن، التي أبدت حسن نيتها اتجاهه، ابتعدت عنه ورجعت إلى مضاربها الأولى بضواحي وهران(Cour.A, 1908, P. 33) ، التي كان قد تسلم ممثل الباي التونسي خير الدين (عبد

الجليل التميمي، 1976، ص.ص. 05-19)، مقاليد الحكم فيها من قبل قوات الاحتلال الفرنسي، فحاولت قبائل المخزن التقرب من هذا القائد الجديد، على اعتبار أن يحكمهم مسلم خير لهم من حكم كافر، إلا أن تأزم الوضع بالمنطقة ومغادرة الباي التونسي لوهران، جعلت أعيان قبائل المخزن يترقبون تطورات الوضع بحذر، إلى حين دعى الشيخ محي الدين إلى فرض الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي بوهران (العربي إسماعيل، 1982، ص.36).

3- سكان تلمسان:

كان سكان تلمسان يتألفون من قسمين، فهناك الحضر الذين كان على رأسهم بن نونة (Cour.A, 1908, P. 33) (أنظر التعليق رقم 6) ، وهناك الكوروغليين الذين كانوا تحت إمرة البورسالي، وكانوا متركزين في قلعة المشور(Cour.A, 1908, P. 36) (أنظر التعليق رقم 7) ، وبعد سقوط مدينة الجزائر تحت يد قوات الاحتلال الفرنسي، ووصول قوات أميدي بورمون إلى وهران في أوت 1830م (العربي إسماعيل، 1982، ص.36)، قام حضر تلمسان بتسيير وفد إلى سلطان المغرب عبد الرحمن، في أواخر شهر أوت 1830م طالبين منه الحماية من الخطر الفرنسي الذي يحدق بهم، ولما وصل هذا الوفد إلى وجدة استقبلهم عامل السلطان المغربي بها، أبي العلاء الإدريسي الجراري، الذي أحالهم إلى السلطان عبد الرحمن بفاس، حيث التقى هذا الوفد بالسلطان عبد الرحمن في أوائل سبتمبر 1830م (الناصري، 1956، ص.26)، وعرضوا عليه مطالبهم إلا أن السلطان المغربي وبعد جمعه لعلماء وفقهاء فاس به، أشاروا عليه بفتوى مفادها أن تلمسان وضواحيها تقع تحت سلطة عثمانية ولا يحق له التدخل بها، فأخذ السلطان بهذه الفتوى ورد على وفد حضر تلمسان بما أشار له علماء وفقهاء فاس. فعاد هذا الوفد إلى تلمسان (الناصري، 1956، ص.26)، وعلى الفور تم تشكيل وفد آخر من سكان تلمسان، كان هذه المرة يضم عددا من أعيان الحضر والكوروغليين وقبائل المخزن، فممن شارك في هذا الوفد نذكر: رمضان التركي ومصطفى بن إسماعيل والمازاري، وبن ددوش، وڤورمالا، وكان عدد عناصر هذا الوفد حوالي مائة، كانت مهمتهم

الإلحاح على السلطان المغربي للتدخل في تلمسان والرد على الفتوى التي أجابهم بها سابقا (Cour.A, 1908, P. 34)، و في أواخر شهر سبتمبر استقبل هذا الوفد من قبل السلطان المغربي وأوضحوا له، بأنه سلطة العثمانيين بالمنطقة قد اندثرت نظرا لبعد المسافة بينهم وبين العثمانيين في اسطنبول، والضعف الذي كان يعاني منه العثمانيين، قد جعل سلطتهم في المنطقة غير مؤسسة، وأمام هذا الإلحاح وافق السلطان المغربي على مطالب هذا الوفد (الناصري، 1956، ص.28). فقام باستحداث منصب خليفة السلطان على الضواحي التلمسانية. وعين فيه ابن أخيه مولاي علي، وضع تحت تصرفه حوالي خمس مائة فارس، ومائة من المشاة، ومجموعة من عناصر الطبجية، كما أمر السلطان المغربي عامله على وجدة إدريس الجراري بمرافقة مولاي علي إلى تلمسان، ومساعدته في توطيد الحكم المغربي بها(الناصري، 1956، ص.28).

لقد وصلت تلك القوات المغربية إلى تلمسان في 07 نوفمبر 1830م، واستقرت بقصر الباي قارة سليمان، بعد أن رحب بهم حضر المدينة، أما الكوروغليين فأرسلوا هدية إلى مولاي إسماعيل عربونا لحسن نيتهم اتجاهه. إلا أنهم لم ينزلوا من قلعة المشور، وبقوا متحصنين بها، وهو ما أثار حفيظة مولاي علي، الذي بدا له أن السيطرة على تلمسان لن تكون ذا أهمية بدون قلعة المشور، فطالب الكوروغليين تسليمه القلعة .Cour.A, 1908, P) (34 ، فأبو ذلك وأرسلوا له وفدا يفاوضه في الأمر كان من بينهم: مصطفى بن إسماعيل، فقام مولاي علي بتكبيل أفراد هذا الوفد وبعثهم إلى السلطان المغربي كأسرى. وهو ما أثار نقمة سكان تلمسان على مولاي علي، الذي استولى على أملاك الكراغلة بمدينة تلمسان، وقام بحملة ضد قبائل المخزن، واستولى فيها على عدد كبير من المواشي التابعة لهذه القبائل، بالإضافة إلى ذلك بدأت سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر، والتي كان على رأسها في هذه الفترة الجنرال كلوزال، تضغط على السلطان المغربي لسحب قواته من تلمسان، حيث قام هذا الأخير في 30 نوفمبر 1830م بمراسلة قنصل فرنسا في طنجة دولابورت"Delaport"

يطلب منه إبلاغ السلطان عبد الرحمن برسالة شديدة اللهجة لسحب قواته من تلمسان، وفي 03 جانفي 1831م عاود الجنرال كلوزيل تهديداته للسلطان المغربي ببعثه للضابط أوفرايAuvray شخصيا ليبلغ السلطان تهديدات بغزو أراضيه إذا لم يسحب قواته من تلمسان(العربي إسماعيل، 1982، ص.30).

وأمام عدم استجابة السلطات المغربية لهذه التهديدات، قام وزير خارجية فرنسا الكونت سبستاني"Sbastani" ببعث مذكرة باسم الحكومة الفرنسية، يطالب فيها السلطان بالانسحاب من تلمسان. وأمام هذا الضغط الفرنسي، والاضطرابات التي أحدثها مولاي علي بالمنطقة، قام السلطان بسحب تلك القوات التي بعثها إلى تلمسان في 08 مارس 1831م(العربي إسماعيل، 1982، ص.31).

وعلى الرغم من تلك الفوضى التي أحدثها التواجد المغربي بتلمسان، بزيادة حدة التوتر بين التشكيلات الاجتماعية المكونة لمجتمع تلمسان، لم يتوان السلطان عبد الرحمن في بعث قوات جديدة إلى الغرب الجزائري، في 03 أوت 1831م، تحت قيادة محمد بن الحمري الذي وصل إلى تلمسان في 16 أوت (العربي إسماعيل، 1982، ص.32)، وبالرغم من المساندة التي أظهرتها قبائل المخزن لمحمد بن الحمري، إلا أنه لم يستطع الحصول على تأييد كل قبائل الغرب الجزائري، حيث أن فشله في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي بوهران، ما بين 8 و 22 أكتوبر، جعله يعمل على كسب طاعة قبائل المنطقة بالقوة، كما بدأ يعمل على تنظيم جباية الضرائب، وهو ما أكسبه عداوة معظم قبائل المنطقة. التي رأت فيه باحثا عن الثروة والأموال عوضا عن مواجهة أعداء المسلمين بوهران، ولذلك نجد هذه القبائل قد حاصرت قوات محمد بالحمري بمعسكر، ورفضت تأدية ما كان يطلبه منها من ضرائب (Cour.A, 1908, P. 35). بالإضافة إلى ذلك فإن سلطات الاحتلال الفرنسي، بعد أن أدركت الدور الخطير الذي تلعبه قوات سلطان المغرب بالغرب الجزائري، أخذت تمارس ضغطا على السلطان المغربي بواسطة بعثها لسفينتين حربيتين إلى ساحل مدينة طنجة المغربية، في 18 نوفمبر 1831م، ثم

قام الملك الفرنسي لوي فيليب"L-Phillipe"، بإرسال الكونت شارل دومولي de *Charles* Mollé سفيرا فوق العادة إلى السلطات المغربية محملا بمذكرة مفادها تهديد شديد اللهجة، يطالب فيه السلطان عبد الرحمن بسحب قواته من الغرب الجزائري، وإلا فستقوم السفن الفرنسية بقصف ميناء طنجة وجميع مدن الساحل المغربي (CH. A. Julien, 1979, P71) .

أمام هذا الضغط الممارس من قبل السلطات الفرنسية، وسوء تصرف محمد بن الحمري بتلمسان وضواحيها، وهو ما جلب له نقمة معظم سكان الغرب الجزائري عليه، قام السلطان المغربي بسحب قواته مجددا من تلمسان في 22 مارس 1832م (العربي إسماعيل، 1982، ص.33)، بعد أن أحدثت تلك القوات المغربية شرخ بين سكان تلمسان الذين كانوا يعانون أصلا من تلك الفوارق التي كانت بينهم خلال العهد العثماني، فأصبحت أوضاع المنطقة جد مزرية بسبب عمليات النهب التي قام بها المغاربة، وتأليب القبائل على بعضها البعض. وبذلك كان لتوجيه سكان تلمسان نحو سلطان المغرب بغرض الحماية ودحر خطر الاحتلال الفرنسي نتائج عكسية، أدت إلى زيادة الظروف المعيشية للسكان سوءا، وإلى ظهور حالة اللا أمن في منطقة الغرب الجزائري عامة(سعد الله،1992،ص.169).

4- ظروف منطقة الغرب الجزائري وبروز الشيخ محي الدين:

كان الشيخ محي الدين ابن المصطفى من أعيان منطقة الغرب الجزائري، حيث كان محترما من قبل جميع قبائل المنطقة لما كان له من ورع وتقوى وعلم، حيث كان سيشرف على زاوية القيطنة بواد الحمام، التي تخرج منها أشهر علماء المنطقة أمثال محمد بن الخضير المهاجي والشيخ سيدي عبد الله المشرفي وعبد القادر بن محمد الهزيل وأبوراس الناصري، وبذلك كان احترام سكان المنطقة للشيخ نابع من مكانته العلمية وتدينه وعلاقات المودة التي كانت له مع جميع السكان (بلهاشمي، 1961، ص.400). ولذلك نجد أن الباي حسن حين سقطت مدينة

الجزائر، لم يجد أمامه سوى الاتصال بالشيخ محي الدين لطلب الحماية، نظرا للسلطة المعنوية التي كانت لهذا الشيخ على معظم القبائل، غير أن الشيخ محي الدين لم يكن باستطاعته اتخاذ مثل هذا القرار دون استشارة علماء غريس (Paul.A, 1920, P209)، وبالفعل قام بجمعهم في القيطنة وأخبرهم بأمر الباي حسن، فوافق الجميع على طلب حمايته، إلا أن عبد القادر ابن الشيخ محي الدين تدخل في هذا الاجتماع وأوضح بأن حماية الباي حسن تعني السكوت عن المظالم التي قام بها ضد سكان المنطقة، وهو ما سيجعل أمر حمايته مستحيلا أمام نقمة معظم القبائل عليه، كما أن الموافقة على حمايته ستجعل مصداقية أعيان المنطقة والشيخ محي الدين بصفة خاصة تتأثر سلبا أمام الرأي العام للقبائل، ونظرا للطريقة المقنعة التي طرح بها عبد القادر بن الشيخ محي الدين رأيه، جعل الجميع يتفقون على ما ذهب إليه، وهكذا أبلغ الشيخ محي الدين الباي حسن رفض طلبه (شرشل، 2004، ص.76).

لقد أدى انهيار السلطة العثمانية بوهران باحتلالها من قبل قوات الاحتلال الفرنسي في 14 جانفي 1831م، ورحيل الباي حسن منها إلى مبادرة وجهاء المنطقة، وعلى رأسهم الشيخ محي الدين لإيقاف الاضطراب والفوضى الحاصلة بالغرب الجزائري، خاصة بتلمسان التي كان الصراع فيما بين الحضر والكوروغليين في تصاعد مستمر، بعد أن تم سحب قوات مولاي علي من المدينة في 08 مارس 1831م، فقام الشيخ محي الدين بعرض وساطة بين الطرفين لإحلال السلام بينهما، ونظرا للاحترام الذي كان يكنه الجانبان له وافقا على ذلك، فاقترح عليهما أن يبقى بن نونه كقائد للحضر ويستقر بقصر الباي قارة سليمان، بينما يبقى الكوروغليين وعلى رأسهم البورسالي في قلعة المشور، وأن يتعهدا بعدم التعرض لبعضهما البعض، فوافق الطرفان على هذا الحل وانتهت المشكلة القائمة بين الطرفين مؤقتا (Cour. A, 1908, P. 35).

تفاقمت الفوضى في الغرب الجزائري عقب التواجد المغربي والتونسي بالمنطقة، بزيادة الصراعات بين مختلف التشكيلات الاجتماعية، وأصبحت أوضاع السكان الاجتماعية جد متردية جراء الفوضى وحالة اللاأمن التي سادت المنطقة، بعد تلاشي سلطة العثمانيين باستسلام الباي حسن لقوات الاحتلال الفرنسي، وإعلان قائد مستغانم العثماني إبراهيم خضوعه لسلطة الاحتلال الفرنسي، وعدم فاعلية الحمايات العثمانية الأخرى التي كانت معزولة في حصونها بتلمسان ومعسكر، وبذلك أضحى إقليم الغرب الجزائري غير خاضع لأي سلطة نظامية، وهو ما كان ينبئ بفوضى عارمة غير محسوبة العواقب، فعمليات النهب في الأسواق كانت في تصاعد مستمر، أما الطرق فأصبحت غير آمنة. فبينما كانت قبائل المخزن تبحث عن سلطتها وامتيازاتها المفقودة، أما القبائل الأخرى فقد بدأت تستشعر الحرية من الضرائب التي أثقلت كاهلها لسنوات طويلة، فبدت سلطة شيوخها عليها غير مجدية(سعد الله،1992،ص.169).

وفي المقابل كانت قوات الاحتلال الفرنسي بمدينة وهران يدعمون تواجدهم بها، بتعيين الجنرال بوايBoyer (أنظر التعليق رقم 8) على رأس القوات الفرنسية بوهران في 19 سبتمبر 1831م، وتدعيمه بقوات جديدة، فبدأ الجنرال بوايي بالتدخل في النسيج الاجتماعي للمنطقة بغرض كسب حلفاء له بالمنطقة، لتوسيع الاحتلال الفرنسي بالغرب الجزائري (Derrien. I, 1886, P.28).

5- دور الشيخ محي الدين في تنظيم المقاومة:

أمام الوضع الذي وصلت إليه الأمور بدأ أعيان القبائل يبحثون عن مخرج لتلك الفوضى السائدة، فاجتمعوا في أوائل شهر أفريل سنة 1832م بمعسكر، واتفقوا على ضرورة توجيه أنظار سكان المنطقة نحو الخطر الحقيقي الذي يتهدد الجميع وهو الاحتلال الفرنسي، وذلك بإعلان الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي فيكون ذلك وسيلة لتجاوز الخلافات بينهم ويوحد أهدافهم، كما اتفقوا على أن يكون الشيخ محي الدين قائدا لهم لما له من احترام من

جميع السكان، ولما أبداه من رزانة في التعامل مع الاضطرابات التي شهدتها المنطقة (المازاري، 1990، ص. 95)، وعلى إثر ذلك الاجتماع شكل الشيخ محي الدين قوة من قبائل المنطقة وسار على رأسها باتجاه وهران، حيث هاجم في 17 أفريل 1832م فرقة استطلاعية لجيش الاحتلال الفرنسي، وتمكن من القضاء على معظم عناصرها ثم انتقل إلى منطقة سيدي معروف بين مستغانم ووهران حيث أقام معسكرا لقوات المقاومة بغرض مراقبة تحركات قوات الاحتلال الفرنسي وفي يوم 03 ماي، انضمت إلى تلك القوات مجموعة أخرى من المقاتلين جاؤوا من مختلف قبائل المنطقة (Paul. A, 1929, P. 08).

سار على رأس تلك القوات الشيخ محي الدين في نفس اليوم إلى عين الكرمة، حيث نظم قوات المقاومة التي كانت معه وهاجم في عصر ذلك اليوم قوات الاحتلال الفرنسي، التي كانت تتمركز بقرقيطا (خنق النطاح)، فتمكن المجاهدون من تشتيت صفوف تلك القوات، وواصلوا قتالهم حتى أسوار حصن سانت أندري، إلا أن التحصينات، التي أقامتها قوات الاحتلال الفرنسي حول الحصن ونيران المدفعية، جعلت المجاهدين يتراجعون، وفي صباح اليوم التالي انتقل الشيخ محي الدين مع قوات المقاومة إلى رأس العين ومنها شن هجوما على القوات الفرنسية المتحصنة بحصن سانت فيليب (محمد، 1960، ص.147).

لقد أدى الحماس الذي أبدته قوات المقاومة الشعبية تحت قيادة الشيخ محي الدين في قتال قوات الاحتلال الفرنسي إلى جعل روح المقاومة والجهاد تنتشر في مختلف أرجاء الغرب الجزائري، فزاد عدد القبائل المساندة للمقاومة، حيث اجتمع في 06 ماي بضواحي وهران أعيان حوالي 32 قبيلة، وأعدوا العدة لمهاجمة قوات الاحتلال الفرنسي، إلا أن يوم 11 ماي كان يتصادف مع حلول العيد الأضحى، فجمع الشيخ محي الدين أعيان القبائل مرة أخرى في 09 ماي، واتفق معهم على أن يقضي المجاهدين العيد الأضحى مع عائلتهم، وأوصاهم بتشديد الحصار الاقتصادي على قوات الاحتلال الفرنسي بوهران، واتفق الجميع على التأهب لتجديد القتال ضد قوات الاحتلال الفرنسي بعد انقضاء فترة العيد (محمد، 1960، ص.151).

خلال الفترة الممتدة من احتلال مدينة وهران 1831م إلى جوان 1832م، حصلت تطورات جديدة في المنطقة كانت تهدد استمرار المقاومة، ذلك أن الجنرال بوايي بدأ يتدخل لربط اتصالات مع بعض قبائل المنطقة لتمويل الحامية الفرنسية بوهران، ومن جهة أخرى عمل على جعل العلاقات بين قبائل المنطقة مضطربة لإضعاف المقاومة، ونتج عن ذلك أن ربطت كل من: قبائل الزمالة والدواير وقاضي آرزيو بن طاهر، علاقات تجارية مع قوات الاحتلال الفرنسي، أما في مستغانم فكان القائد إبراهيم بها محاصرا من قبل قبائل مزغران طلبه (شرشل، 2004، ص.35).

ولتقوية صفوف المقاومة والقضاء على تلك الاضطرابات قام الشيخ محي الدين بمراسلة العريبي في الشلف، وطلب منه مهاجمة مستغانم، بينما اتجه مرة أخرى إلى تلمسان لتسوية الخلافات التي كانت قائمة بها بين الحضر والكوروغليين. وفي نفس الوقت، طالب العثمانيين بها بتزويده بالمدافع، إلا أن مساعيه هذه باءت بالفشل، كما قام بإرسال تهديد شديد اللهجة إلى قاضي آرزيو، يطالبه فيه بالكف عن التعامل مع قوات الاحتلال الفرنسي (Paul. A, 1929, P. 216)، وبالرغم من كل هذه الإجراءات التي قام بها الشيخ محي الدين، إلا أن الاضطرابات كانت تتصاعد بين سكان المنطقة، وكانت الأوضاع تنبئ بحرب بين بعضهم البعض، فالجنرال بوايي تمكن بفضل جواسيسه، من إحداث الفتنة بين قبائل الزمالة والدواير من جهة، وقبيلة الغرابة من جهة أخرى (Paul. A, 1929, P. 216) (أنظر التعليق رقم9) ، ولكي يقطع الشيخ محي الدين الطريق أمام تصاعد تلك الفتنة قام بإعلان الجهاد، مجددا ضد قوات الاحتلال الفرنسي، لكي يوجه أنظار السكان الجزائريين إلى الخطر الحقيقي الذي يهددهم، وهو الاحتلال الفرنسي، فسار في 31 أوت 1832م على رأس مجموعة من رجال قبيلة الغرابة باتجاه وهران، حيث صادر بعض المؤن التي كانت موجهة لقوات الاحتلال الفرنسي بوهران (سعد الله،1992،ص.169).

هاجمت عناصر المقاومة الجزائرية في 19 سبتمبر 1832م مدينة وهران، إلا أن قوة القصف المدفعي وتحصينات المدينة التي أقامتها قوات الاحتلال الفرنسي بها جعلتهم يتراجعون، وفي 23 أكتوبر كرر الشيخ محي الدين مهاجمة قوات الاحتلال الفرنسي على رأس 500 مقاتل، وبالرغم من أن هذه الهجومات لم تكن شديدة التأثير على قوات الاحتلال، إلا أنها أثارت حمية القبائل، للمشاركة في عملية المقاومة ضد قوات الاحتلال الفرنسي(سعد الله،1992،ص.170) ، حيث انضمت إلى الشيخ محي الدين بمعسكر حوالي 3000 مقاتل، وسار على رأسهم في 10 نوفمبر باتجاه وهران،حيث قام بترتيب ثلاث كمائن لقوات الاحتلال الفرنسي في ضواحي المدينة، إلا أن هذه القوات تفطنت للأمر وبادرت بطلقات المدافع من برج سانت أندري، وفي اليوم الموالي خرجت قوات الاحتلال الفرنسي من وهران لتلتقي في معركة قوية مع قوات المقاومة في منطقة سيدي الشبل، حيث تعرضت قوات المقاومة لخسائر عديدة نتيجة القصف المدفعي وتمرس عناصر جيش الاحتلال الفرنسي، وهو ما دفع الشيخ محي الدين إلى سحب المجاهدين باتجاه مسرغين (Paul. A., 1920, 216) ، وبما أن تلك الفترة تزامنت مع موسم الحرث، قام الشيخ محي الدين بترك عناصر المقاومة لتلتحق بمضاربها للاهتمام بمصادر عيشهم، وأمرهم بالتأهب مرة أخرى لمقاتلة قوات الاحتلال الفرنسي بعد نهاية موسم الحرث(Paul. A., 1920, 217)، ومما تقدم ذكره نستنتج بأن اختلاف المواقف من قبل سكان الغرب الجزائري، جعل الاحتلال الفرنسي يسيطر على المنطقة، وقد أظهرت ضرورة وجود سلطة تنظم تلك الأوضاع وتقود المقاومة.

- الخاتمة:

حتمت الظروف المضطربة التي أضحى يعيشها سكان الغرب الجزائري، أمام انهيار سلطة العثمانيين ببايلك الغرب وانتشار الفوضى، كما بينت المواقف المتخاذلة التي أبدتها بعض الأطراف الخارجية الإسلامية في نصرة المقاومة بالمنطقة كالموقف السلبي السلطان المغربي، وانتهازية بايات الأسرة الحسينية، ولامبالاة سلطة الباب العالي بمصير القطر الجزائري، أدى

إلى بروز ضرورة قيام سلطة محلية داخلية تلقى الإجماع من قبل سكان المنطقة، وتفرض سلطتها على الجميع وتعمل على حشدهم لمواجهة المستعمر الفرنسي، فمن خلال ذلك يتبين لنا ثقل المهمة التي سيتكفل بها الأمير عبد القادر، كما ستبين في الوقت نفسه الانجاز الحقيقي للأمير خلال قيادته للمقاومة الوطنية في هذا الظرف الدقيق والخطير، ومن جهة أخرى فان مسببات هذه المواقف ستكون من الصعوبات العويصة التي ستعرقل المقاومة، وتحول دون إتمام بناء مشروع الدولة الجزائرية الحديثة التي كان يأمل الأمير تحقيقه في الجزائر.

التعليقات والشروح:

1. الداي حسين: ولد بمدينة إزمير في سنة 1773م، زاول دراسته العسكرية كجندي بسيط في إسطنبول. و بعد أن أنهى دراسته العسكرية، اشتغل بتجارة التبغ، ليتجند بعد ذلك في صفوف قوات الإنكشارية بالجزائر، حيث أصبح مقربا لدى الداي عمر باشا، الذي عينه أمينا للإيالة، ثم أصبح عضوا في ديوان الداي، تولى بعد ذلك الحكم في الجزائر بتوصية من عمر باشا في فبراير 1818، و بعد استسلامه للفرنسيين في جويلية 1830، اختار الانتقال إلى مدينة ليفورنة الإيطالية التي مكث ها حوالي ثلاثة سنوات، انتقل بعدها إلى مدينة الإسكندرية التي استقر بها إلى غاية وفاته في سنة 1838م. ينظر: (سعد الله، 1992، ص 88)

2. الماريشال دي بورمون: Louis Auguste Victor Compte de chasme de Bourmont، ولد سنة 1773م، بمدينة ماين، التحق بالمدرسة العسكرية بسوارار، و في سنة 1788 تخرج منها.،كما شارك في حروب نابليون، فأكسبه ذلك خبرة كبيرة مكنته من تولي مسؤولية قيادة الحملة الفرنسية على الجزائر في سنة 1830،وفي أوت 1830عزل من منصبه ليعود إلى فرنسا حيث توفي في سنة1846.ينظر(D .Henry,1930,P10)

3. الباي حسن: ولد في حوالي سنة 1850، أصله من الأناضول، عمل كجندي بسيط في صفوف الحامية العثمانية بتلمسان، و بعد أن أنهى خدمته العسكرية مارس التجارة، حيث

كان له دكان لبيع التبغ في جوار المسجد الكبير في مدينة وهران. و نظرا لفطنته و ذكاءه أثار إعجاب الباي بوكابوس الذي قربه منه و زوجه ابنته، و أوصى له بالحكم من بعده، حيث أصبح بايالبايلك الغرب الجزائري في سنة 1827، و بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران، رحل إلى الإسكندرية التي انتقل منها إلى مكة حيث توفي هناك. ينظر:

(M .Lapène, 1842 , P.26)

4. الماريشالكلوزيل. comte Bernard de clauzel، ولدفي سنة 1772بمدينة ارياج الفرنسية، تولى عدة مناصب في السفارات الفرنسية كملحق عسكري، وفي سنة 1816حكم عليه بالإعدام ففر إلى أمريكا، ليعود إلى فرنسا في سنة 1820، ليصبح في سنة 1829 عضوا في البرلمان الفرنسي. وفي 7اوت 1830عين على رأس القوات الفرنسية في الجزائر، ثم عزل من منصبه هذا، ليعين مرة أخرى كحاكم عام في الجزائر في سنة1835ثم عزل مرة أخرى، ليعاد تعيينه للمرة الثانية في نفس المنصب في8جويلية 1837،وفي 12جانفي 1838عزل مرة أخرى، فعاد على اثر ذلك إلى فرنسا حيث توفي في21افريل 1842. ينظر: (B.Clauzel , 1949, P6)

5. دامريمون : :Damrémontولد في سنة 1783 بمدينة شامون الفرنسية، تخرج من المدرسة العسكريةفونتان بلو في سنة 1804،ليشارك بعد ذلك في معارك نابليون، فاصبح عقيدا في سنة 1813،ث م ماريشالا في سنة 1821، وفي 13 فيفري 1837 عين قائدا عاما للقوات الفرنسية بالجزائر، غير انه لم يلبث طويلا في منصبه هذا حيث توفي على أسوار مدينة قسنطينة في 12اكتوبر 1837.ينظر: (D.Henry, Op.cit., P.51)

6. بن نونة: هو من أبرز أعيان حضر مدينة تلمسان، كان صاحب تجارة مزدهرة، نظرا للعلاقات التي كانت تربطه بمدينة فاس المغربية، حيث كان يستقر بعض أفراد عائلته هناك، ونظرا لنفوذ هذا الأخير بتلمسان عين من قبل أهلها قائدا على سكان تلمسان من غير الكوروغليين، كان له ابن اسمه محمد استقر بوجدة. كما له عدة بنات تزوج بعضهن بتلمسان.

وتوفي بن نونة بعد معركة إيسلي التي جرت في سنة 1843 بقليل في مدينة وجدة المغربية. ينظر: (A .Cour, Op.cit., P.33)

7. تعتبر قلعة المشوار بمثابة مدينة داخل مدينة، تشغل الجزء المرتفع من جنوب مدينة تلمسان، تحيط بها أسوار عالية، ويوجد داخل هذه القلعة مسجد وحمام وثكنة عسكرية، وعدد من مساكن الكوروغليين، كما يمر بهذه القلعة المجرى المائي الذي يومن تلسمان بالمياه، وبذلك فلقد شكلت هذه القلعة حصنا منيعا للعثمانيين بها. ينظر:

(Cour.A, Op.cit., P.36)

8. الجنرال بوايBoyer: شارك في الحملة الفرنسية على مصر، ثم عمل تحت راية الجمهورية والإمبراطورية الفرنسية، اختياره الجنيرال كالمان في سنة 1795 في أركان وزارة الحرب الفرنسية، كما حارب في سوريا في صفوف القوات الفرنسية تحت إمرة نابليون بونابرت، وفي سنة 1810 انضم إلى القوات الفرنسية في إسبانيا، ليعين بعدها على رأس القوات الفرنسية بوهران في 19 سبتمبر 1831، ثم عزل من منصبه في سنة 1833، ليعود إلى فرنسا، حيث مات في 26 ديسمبر 1864 . ينظر: (حرب ، ج1، ص32.)

9. كانت قبائل الغرابة ترفض استخدام أراضيها من قبل قبائل الزمالة و الدوابر للتواصل تجاريا مع الفرنسيين بوهران، فبوايي كان على علم بمشكلة الحدود بين القبائل، فاستخدم ذلك لإثارة المشاكل بينها. ينظر:(P.Azan, , Op.cit.,P.216)

قائمة المصادر والمراجع

- المصادر:

- بن بكار، بلهاشمي، (1961)، كتاب مجموع النسب والحسب و الفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، تلمسان، مطبعة ابن خلدون.

- تشارشل، شارل هنري ، (2004)، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة سعد الله، أبو القاسم ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

- محمد ابن الأمير عبد القادر ، (1966)، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، سوريا، دار اليقظة العربية.

- المازاري، الآغا بن عودة، (1990)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا وإسبانيا، تحقيق يحي بوعزيز، ج2، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد ، (1956)، كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القسم الثالث: الدولة العلوية، ج9، تحقيق وتعليق جعفر الناصري - محمد الناصري، المغرب الأقصى، دار الكتاب.

- المراجع:

- الجيلالي، عبد الرحمن محمد، (1994)، تاريخ الجزائر العام، ج4، ط7، الجزائر، د.م.ج.

-حرب، أديب، (1983)، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- سعد الله، أبو قاسم، (1992)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- سعيدوني، ناصر الدين ، (1984)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر : العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- العربي، إسماعيل، (1982)، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

المجلات:

- التميمي، عبد الجليل، (1976)، مغامرة الحماية التونسية على وهران، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع.5، ، ص ص 05-19.

المصادر والمراجع الفرنسية:

-Les Sources

- Azan. P , (1920), les débuts d'Abdel Kader , B.S.G.A.O.,T XI, Fouque, Oran.

[1]-Azan .P, (1929), L'Emir Abdel-Kader, du fanatisme musulman au patriotisme chrétien (1808- 1886) , Paris, librairie Hachette.

- Clauzel .B , (1949) , correspondance du maréchal Claulzel, publié par G.esquer. vol 1, Paris, larosse..

- Esque.G, (1929)La prise d'Alger 1830, Paris, Librairie Larose, ,.

-Estirasy. W, (1849) Notice historique sur le maghzen d'Oran, Typographie de Berrier, éd. Paris.

-Gaffarel .P, (1883), L'Algérie : Histoire- Conquête - Colonisation, Librairie Firmin Didot.

-Henry. D, (1930) Les conquérants de l'Algérie (1830-1852), Berger-levrault, Paris.

-Lapène. M, (1842) *Tableau historique de la Province d'Oran 1791-1851*, éd. Lamort, Metz.

- Pellissier .R, (1854) Annales Algériennes, T1, Librairie Militaire, Paris.

- Les ouvrages

-Julien .Ch-A, (1979) Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871), éd. PUF, Paris.

- Les Revues

- A .Cour , (1908) L'occupation Marocaine de Tlemcen (Septembre 1830 – Janvier 1836), Revue Africaine, Alger, O.P.U, N°52.